هو المنطقة الوحيدة المتاحة لشن الهجوم الفدائي على اسرائيل. وسرعان ما تتالت الازمات الفلسطينية ـ اللبنانية، واللبنانية ـ اللبنانية، لتحضّر المسرح للمرحلة الجديدة الدامية، أي الحرب اللبنانية. وفي حين ينظر إلى احداث كفرشوبا وصيدا، في كانون الثاني وشباط (يناير وفبراير) ١٩٧٥، باعتبارها مقدمة للحرب اللبنانية، فان حادثة عين الرمانة في نيسان (ابريل) من العام ذاته كانت، ايضاً، بشيراً بالبعد الفلسطيني ـ اللبناني لتلك الحرب. وعبر التدخل السوري واسع النطاق في العام ١٩٧٦، والمعارك الدامية العديدة، خاصة مع قوى المقاومة الفلسطينية، ثم الغزو الاسرائيلي في العام ١٩٨٢، واحتلال بيروت ذاتها، تحول النظام اللبناني الى واجهة محض شكلية لا حول لها ولا قوة. وكما سبقت الاشارة، فان ضعف «الدولة» الشديد في لبنان كان هو الظرف الموضوعي المؤاتي، الذي مكّن من اطلاق طاقات المقاومة الشعبية اللبنانية والفلسطينية ضد العدو الصهيوني، على عكس دول المواجهة الاخرى. وفي ظل غياب النظام السياسي الفعّال، قدم العشرات والمئات من الشباب اللبناني والفلسطيني أمثلة فذة للتضحية والفداء ضد الكيان الصهيوني ومؤيديه معاً.

عامل الشرعية

أياً كان المناط «المعنوي» لشرعية أي نظام سياسي (أي قبول المحكومين بحق هذا النظام في الحكم وممارسة السلطة)، فان هناك مناطاً ادائياً لتلك الشرعية وهو كفاءة أو فاعلية النظام السياسي في تحقيق اهداف المجتمع. واذا كانت التقاليد، والزعامة الكارزمية، والعقلانية ـ القانونية، هي أبرز «مصادر» الشرعية (وفقاً لافكار فيبر ذائعة الصيت)، فان كفاءة وفعالية النظام السياسي هي التي تضمن استمرار وتكريس تلك الشرعية. واذا فقد النظام كفاءته وفاعليته، فان هذا يؤدي، على الفور، الى التأثير في شرعيته (أي على المناط المعنوي لتلك الشرعية)، مما يفتح الباب لشرعية جديدة يسبغها النظام على نفسه، أو تأتي على يد نظام آخر تماماً.

هذه العلاقة بين المناط «المعنوي» للشرعية والمناط «الادائي» لها، هي، بالتحديد، ما اتجه اليه تأثير الكيان الصهيوني في شرعية الانظمة العربية. ويمكن القول ان كافة النظم العربية، أياً كان المناط المعنوي لشرعيتها (تقليدية، أو كارزمية، أو عقلانية ـ قانونية، أو ايديولوجية «ثورية»)[١٠]، فانها حرصت على تكريس شرعيتها من خلال «اداء ما» ضد الكيان الصهيوني. واسهل انماط هذا الاداء هي رفع الشعارات الحماسية، والمشاركة في المؤتمرات المختلفة لحشد الجهود والامكانات العربية ضد العدو الصهيوني. اما اصعب، وادق، انماط هذا الاداء، فكانت هي المواجهة العسكرية المسلحة باشكالها المختلفة. وبين هذا وذاك، كانت هناك انماط أخرى من الاداء السياسي والاقتصادي، مثل المقاطعة الاقتصادية، وحظر النفط، وتقديم المعونات لدول المواجهة، الخ. وطوال فترة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، منذ العام ١٩٤٨ حتى الآن، فان نجاح، أو فشل، الانظمة في ادائها لمواجهة الكيان الصهيوني كان من اهم اسباب تدعيم، او تقليص، شرعيتها.

ولقد كان من الطبيعي، اذاً، في العام ١٩٤٨، ان شاركت الدول العربية المستقلة السبع، والمكونة للجامعة العربية في ذلك الحين، في حرب فلسطين. وفي حين ان هدف الحرب لم يكن واضحاً من نواح كثيرة لدى «الجيوش العربية»، فان الانظمة المختلفة كانت تعي، تماماً،